الزند الوري في الجواب عن السؤال السكندري لجلال الدين السيوطي روح الله روحه

مسئلة وردت من الاسكندرية سؤال صورته روى في صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي او نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي
ارسلت به الا كان من اصحاب النار قال الشيخ محي الدين النووي في شرحه لصحيح مسلم
قوله صلى الله عليه وسلم لا يسمع بي احد من هذه الامة اي ممن هو موجود في زمني وبعدي الى يوم القيمة
فكلهم ممن يجب عليه الدخول في طاعته وانما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما فاذا كان
شانهم مع ان لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له اولى قلت ـــ وقد اشكل هذا الحديث على بعض الناس
من جهة تنزيل المقصود منه على القواعد النحوية فان المقصود من الحديث انه من سمع بنبينا عليه الصلاه
والسلام ممن شملته بعثته العامة ثم مات غير مؤمن بما ارسلت به كان من اصحاب النار وفي تنزيل لفظ
لفظ الحديث على هذا المقصود قلق كما سيأتي وهذا الاشكال يعرض كثيرا في غير لفظ الحديث ايضا كقولك
ما جاءني زيد الا اكرمته وما احسنت الى اللئيم الا اساء الي وما انعمت على عمرو الا شكر وامثال ذلك كثير
في الكتاب والسنة وكلام العرب والغرض في الجميع ان يكون الواقع بعد الا مرتبا مضمونه على مضمون
ما بعد حرف النفي اي مهما جاءني زيد اكرمته ومهما احسنت الى اللئيم اساء الي ومهما انعمت على عمرو شكر وهكذا
في سائر الامثلة التي بهذه المثابة وتطبيق اللفظ على هذا الغرض غير متات بحسب الظاهر فان
غاية ما يتخيل في هذا الاستثناء ان يكون مفرغا باعتبار الاحوال فتكون الجملة الواقعة بعد الا
في محل نصب على انها حال من الفاعل او من المفعول المتقدم ذكره اي ما جاءني زيد الا في حال كوني
مكرما له وما احسنت الى اللئيم الا في حال كونه مسيئا الي وما انعمت على عمرو الا في حال كونه شاكرا للنعمة
وهذا مشكل فان الحال مقيدة لعاملها ومقارنة له وليس الاكرام مقيدا بمجيء زيد بحسب المقصود
ولا مقارنا له في الزمن وكذا بقية الامثلة فان قلت ـــ اجعل الحال مقدرة كما في قولهم مررت
برجل معه صقر صائدا به غدا اي مريدا الصيد به فكذا في الامثلة اي ما جاءني زيد الا في حال كوني مريدا
لاكرامه وما احسنت الى اللئيم الا في حال كونه مريدا الاساءة الي وما انعمت على عمرو الا في حال كونه مريدا
الشكر وعلى هذا تنتفي المقارنة والتقييد ولا اشكال قلت ـــ هذا وان كان في نفسه معنى ممكن
الاستقامة فهو غير مفيد للغرض المصوغ له هذا الكلام اذ المقصود كما سبق وقوع مضمون ما بعد حرف
الاستثناء مرتبا على مضمون ما بعد حرف النفي ولا يلزم من الانعام على عمرو في حال ارادته للشكر ان يكون
الشكر وقع بالفعل مرتبا على الانعام عليه لجواز ان تخلف متعلق الارادة الحادثة عنها وكذا الكلام في
بقية الامثلة فقد ظهر امتناع جعل ما بعد الا حالا من قبيل الحال المحققة ولا من قبيل الحال المقدرة
ولا مساغ لغير الحال فيه فيما يظهر ببادي الراي فيتقرر الاشكال فان قلت ـــ لم لا تجعل التفريغ
باعتبار ظرف الزمان اي ما جاءني زيد في حين من الاحيان الا في حين اكرمته فحذف الحين
كما في قولهم جئتك صلاة العصر اي حين صلاة العصر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
قلت ـــ يمتنع ذلك لفظا ومعنى اما لفظا فلان الظرف في مسئلتنا على زعمك مضاف الى الجملة
ولا يحذف مضاف الى الجملة وتقوم الجملة مقامه وانما ذلك اذا كان المضاف اليه مفردا كما في جئتك
في صلاة العصر وما اجازه ابو حيان في قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس من ان الاصل يوما يوم
لا تجزي نفس فابدل يوم الثاني من الاول ثم حذف المضاف مردود قال ابن هشام لا نعلم هذا
واقعا في الكلام ثم ان ادعي على ان الجملة باقية على محلها من الجر فشاذ او انها انيبت عن المضاف
فلا تكون الجملة مفعولا في مثل هذا الموضع واما معنى فيظهر مما ابطلناه به وجهي الحال المحققة
والمقدرة اذ ليس المراد ان زيدا لم يجئ الا في حال اكرامك له او في حال ارادتك لاكرامه

٥٢

وانجاح المقصود وما اسلفناه والكلام في تنزيل اللفظ عليه فالاشكال بحالته ❀ وفي الحديث اشكال من جهة اخرى وهو انه تقدم الاستثناء الواقع فيه جمل فان اعدته الى الجميع وبنينا على ان العامل في المستثنى هو ما قبل الا من فعل او معناه بواسطة الا كما يراه البصريون لزم اجتماع عوامل على معمول واحد وهو باطل على ما تقرر في علم النحو وان اعدته الى الجملة الاولى فقط لزم الخلف في الخبر وذلك ان التقدير ح لا يسمع بي احد من هذه الامة يهودي او نصراني الا كان من اصحاب النار وكم من يهودي ونصراني يسمع به بعد البعثة ولا يكون من اصحاب النار بان يسلم ويموت على الاسلام وان جعلته راجعا الى ما بعد الجملة الاولى فقط على ما فيه فصارت الاولى لا تعرض فيها الى الاستثناء فيلزم الخلف ايضا اذ كثير من اليهود والنصارى يسمع به بعد البعثة هذا اخر السؤال

في الجملة ٥

الجواب قال ابن مالك في التسهيل في تقرير القاعدة التي من افرادها هذا الحديث ويليها اي في النفي فعل مضارع بلا شرط وماض مسبوق بفعل او مقرون بقد وقال في شرحه مثال المضارع ما كان زيد الا يفعل كذا وما جاء زيد الا يجر ثوبه وما زيد الا يفعل كذا ومثال الماضي مسبوقا بفعل قوله تعالى وما ياتيهم من رسول الا كانوا ومقرونا بقد قول الشاعر ما المجد الا قد تبين انه بندى وحلم لا يزال مؤثلا قال وانما اغنى اقتران الماضي بقد عن تقدم فعل لان قد تقربه من الحال فيكون بذلك شبيها بالمضارع وانما كان المضارع مستغنيا عن شرط لانه شبيه بالاسم وانما ساغ بتقديم الفعل مقرونا بالنفي لجعل الكلام بمعنى كلما كان كذا فكان فيه فعلان كما كان مع كلما فلو قلت ما زيد الا قام لم يجز لانه ليس مما ذكر وعلة ذلك ان المستثنى لا يكون الا اسما او مؤولا بالاسم والماضي المجرد من قد بعيد من شبه الاسم واما قولهم انشدك بالله الا فعلت فانه في معنى النفي كقولهم شر اهر ذا ناب اي ما اسالك ~~الا فعلك~~ الا فعلك انتهى وقال ابو البقاء في قوله تعالى ما ياتيهم من رسول الا كانوا ان الجملة حال من ضمير المفعول في ياتيهم وهي حال مقدرة ويجوز ان تكون صفة لرسول على اللفظ او الموضع انتهى فعلم من ذلك تخريج الحديث على الوجهين والارجح الحالية لامرين احدهما ان وقوع ما بعد الا وصفا لما قبلها راي ضعيف في العربية بل قال ابن مالك انه لا يعرف لبصري ولا كوفي وان الزمخشري تفرد بذلك وان ما اوهم ذلك مؤول على الحال وكان ابا البقاء تابع في ذلك الزمخشري الثاني ان الحالية تطرد في جميع الامثلة والوصفية لا تطرد بل تختص بما اذا كان الاسم السابق نكرة كالحديث اما نحو ما جاءني زيد الا اكرمته فلا يمكن فيه الوصفية كما لا يخفى فعلم بذلك ترجيح الحالية وكانها مقدرة كما صرح به ابو البقاء وما اورد على ذلك من عدم الملازمة وجواز تخلف متعلق الارادة الحادثة عنها فهو وان كان كلاما صحيحا في نفسه الا انه لا يقدح في التخريج ولو روعي هذا المعنى لم يكن يصح لنا حال مقدرة وكم من قاعدة نحوية قررت ولم يبال بمخالفتها للقاعدة العقلية فان في النحو والفقه معقولا من منقول كما ذكر ذلك ابن جني فتارة يلاحظ فيهما الامر العقلي وتارة يلاحظ الامر النقلي على ان ما ذكر من الترتيب وما اورد عليه من عدم الملازمة انما يتجه لو كان الترتيب المذكور عقليا لا يتخلف وليس الامر كذلك فان الترتيب الذي في الحديث والذي في الامثلة ايضا ليس بعقلي بل عادي خاص اي بحسب عادة المتكلم او من تعلق به فعله ومثل ذلك يكتفى به في الحال المقدرة واخرى وهو ان ما ذكر في وجه الترتيب تفسير معنى وما ذكر في تقرير الحال تفسير اعراب وهم يفرقون بين تفسير المعنى وتفسير الاعراب ولا يلتزمون توافقهما كما وقع ذلك كثيرا لسيبويه والزمخشري وغيرهما واما الاشكال الثاني ففي غاية السقوط لان الجمل السابقة ليست مستقلة بل جملة ثم يموت ولا يؤمن مرتبطة بالجملة الاولى على انها قيد فيها وثم هنا واقعة موقع الفاء فانها لمجرد الربط لا للتراخي في قوله جرى في الانابيب ثم اضطرب وفي بعض طرق الحديث لا يسمع بي من يهودي ولا نصراني فلم يؤمن بي الا كان من اصحاب النار فعلم ان جملة يؤمن مرتبطة بالاولى وفاء الربط تصير الجملتين في حكم واحدة كما قرره النحاة في باب العطف في المسئلة الذي يطير فيغضب زيد الذباب فقوله ان اعدته الى الجملة الاولى لزم الخلف الى اخره مدفوع بانه اذا اعيد اليها مقيدة بمضمون ما بعدها لا يلزم ما ذكر والله تعالى اعلم ٥